

دلالة الألوان في الفن القصصي عند

عمر الطالب

د . توفيق عزيز عبد الله^(*)

تمهيد

دلالة اللون في الأدب

أ. دلالة اللون عند الغربيين

يبهر اللون الإنسان بعد ان يفاجئه النور أول مرة وتنمي الألوان في نفسه خيالات واسعة وتساؤلات عديدة تدور في دلالاتها .

وكانت هذه التساؤلات المحور الأول الذي شغل الدارسين فكانت موضع نظرهم وعنايتهم بحوثاً ودراسات شتى صارت لبنات فنية في بناء الحضارة والإنسانية ، وأول مايطالعنا من تلك العناية باللون عناية اليونانيين القدماء مثل "أرسطو وأفلاطون . فأرسطو (384-322ق.م) يربط الألوان بعناصر الوجود بقوله: الألوان البسيطة هي ألوان عناصر الوجود، اعني: النار والهواء والماء والتراب"⁽¹⁾ .

(*) أستاذ مساعد في قسم اللغة الفرنسية - كلية الآداب / جامعة الموصل.

(1) احمد مختار عمر: اللغة واللون 111، وتجدر الإشارة هنا إلى الألوان لدى الصينيين خمسة هي: الأحمر ، والأسود، والأصفر ، والأبيض ، والأخضر ، (الأزرق) وترتبط هذه الألوان بالعناصر الخمسة التي هي: النار والحديد والخشب والتراب والماء . وترتبط بعناصر السعادة الخمسة أيضاً وبالفضائل الخمس وبالرذائل الخمس وبمبادئ الإيمان ولمزيد من التفصيل ينظر: Faber Blrren ,Light, Color and enviromemt,p. 195

وبعد حوالي ثمانية عشر قرناً قام ليوناردو دافنشي (1452-1519) الرسام والنحات الإيطالي المشهور بصياغة فكرة مشابهة لتلك التي تبناها أرسطو بقوله: ان أول الألوان البسيطة الأبيض ، الأبيض يمثل الضوء الذي بدوره ما كان يمكن رؤية لون ، الأصفر التربة والأخضر الماء والأزرق الفضاء والأحمر النار والأسود الظلام الكامل⁽²⁾.

ولم يقدم دافنشي محاولة علمية وفنية لتنظيم الألوان ، حتى جاء إسحاق نيوتن (1643-1727) وهو فيزيائي انكليزي فكشف عن الطبيعة الخفية للألوان ، وقدم الدوائر اللونية الأولى وتبعاً لما قاله نيوتن فان كل الألوان متفتحة في الضوء الأبيض . فهو مكون من الأشعة يمكن ان تحلل بواسطة منشور. وقد اختار نيوتن "سبعة ألوان وربطها بالأجرام السماوية السبعة وبالنغمات السبع للمدرج الديوناشي في الموسيقى : الأحمر نغمة C، والبرتقالي نغمة D، والأصفر نغمة E، والأزرق نغمة F ، والبنّي نغمة A والبنفسجي نغمة B .

وعلى الرغم من ان مجموعة الطيف تمتد في شكل شريط من الأحمر إلى البنفسجي فان نيوتن قدمها في شكل عبقري حين لواها وقدمها في شكل دائرة⁽³⁾ . اما في العصر الحديث ، فقد أوليت الألوان ودلالاتها اهتماماً بالغاً ، وكثرت الدراسات اللغوية المختلفة في هذا الموضوع .

(2) المصدر نفسه 111. وكذلك نجد ان الألوان في الأساطير اليونانية ترتبط ببعصور الإنسان الأربع وهي: الذهب والفضة والنحاس والحديد.

(3) المصدر نفسه 112.

في عام 1953 درس همسليف Hjelmslev الألوان بمدلولاتها. ودرس كونكلين Conklin عام 1955 وبرلن وكي Berlin and Kay 1966 وماكنيل 1972 Macneil وكي Kay 1975 نفس الموضوع الذي تناولته همسليف.

وتناول علماء اللغة من زوايا مختلفة ، تناول العلم هسليف البعد الواحد في أثناء وصفه لدراسة الألوان التكليزية ويلش . وقد أضاف عدد منهم أبعاد أخرى ونقص ذلك أصل اللون ، والقيمة الضوئية للون . فقد درس العالم بارجو عام 1981 تدرج الألوان ، كما درس عدد آخر تميز الألوان المضيئة أي الألوان الحارة والباردة وفق شينتها الفيزيائية⁽⁴⁾ .

ب. دلالة اللون عند العرب

(1) المصنفات والمعاجم

واهتم العرب أيضا بعلم الألوان ودلالاتها فصنفوا العديد من المؤلفات المتخصصة في علم الألوان . فهذا (كتاب الملمع) في اللغة الذي ألفه أبو عبدالله الحسين بن علي النمري المتوفى 385هـ وجيهة احمد السطل . والذي يعد بمثابة معجم مصغر لألفاظ الألوان في اللغة ، وهو ظاهرة مميزة لأنه غني بالشواهد الشعرية التي اختارها المؤلف من الشعر العربي.

(4) وثمة جهود في مجال الدراسات اللغوية وتصنيف للدوال اللونية على مستوى الحقل الدالي Semantio Field ، وقد اقتصر على الخطاب اللغوي ولمزيد من التفصيل ينظر: محمد حافظ دياب جماليات اللون في القصيدة العربية 41 وكذلك:

وتناول عبد الغني النابلسي في كتابه "تعطير الأنام في تفسير المنام" علاقة الألوان بالأحلام ودلالاتها⁽⁵⁾.

ولعل أوسع مادة عن الألوان تنعتها المعجمات التي رتبت معلوماتها بإحدى طريقتين: إما بحسب الموضوعات وإما بحسب حروف الهجاء. وبرز الكتب التي بحثت عن الألوان متبعة الطريقة الأولى هي (فقه اللغة) للثعالبي و(المخصص)⁽⁶⁾ لابن سيده.

فأما كتاب الثعالبي فإن فيه فصلين أحدهما عن الألوان (70-77) بحث فيه المفردات المستعملة في لون البياض، والسواد والحمرة في الإنسان والحيوان والثاني عن ألوان النبات (241-243) ومادته ذات قيمة كبيرة وهي يسيرة المتناول، إلا أنها مقتضبة. وأما كتاب ضخم رتبه مؤلفة بحسب الموضوعات، وعرض فيه المفردات والتغييرات المتعلقة بكل موضوع، وقد كتبت فصلاً عن النبات الذي يصطبغ فيه ويختضب فيه ذكر لعدة ألوان مستعملة في الملابس اعتمد فيها على عدد من اللغويين والنباتيين القدماء.

أما المعجمات المرتبة على حروف الهجاء أهمها (لسان العرب) لابن منظور نظراً لأنه من أوسع المعاجم وأكثرها توثيقاً. وقد نقل في المواد التي بحثها أقوال عدد من لغوي القرن الثاني والثالث من الهجرة.

(5) مؤلف كتاب "مفرج النفس" ان الألوان تقسم على قسمين بسيط ومركب. فللبسيط لوانان: الأبيض والأسود وتقسم عند بعض الناس على أربع ألوان هي: الأبيض والأسود والأحمر والأصفر، وما يتركب منها، وتولد الأخلاط السوداء، ويحدث عنها من الفكر الروية والهموم المؤذية والأحزان الملازمة، وتعمي القلوب، والألوان المفرحة وهي الأبيض والأحمر والأخضر والأصفر ينظر: بشير فارس: سر الزخرفة الإسلامية، صص 40-49. واحمد مختار عمر: "اللغة واللون" 183-185.

(6) المخصص 209/11-303.

وفضلاً عن المعجمات فهناك العديد من المؤلفات الفقهية وبخاصة "الموطأ" و "والمدونة" لمالك بن انس 179 هـ ، و "الجامع الكبير" و "الحجج" لمحمد بن الحسن الشيباني 189 هـ و " الأم" للشافعي 204 هـ و "الكافي" الكليني . وكتب التراجم وخاصة كتاب "الطبقات الكبير" لمحمد بن سعد (230هـ).

(2) القرآن الكريم

ورد في القرآن الكريم خمسة ألوان هي الأحمر والأصفر والأخضر والأسود والأبيض.

فاما الأحمر فلم يذكر إلا في آية واحدة في وصفه الجبال (سورة فاطر 27) واما الأصفر فقد ذكر في أربع آيات واحدة في لون بقرة بني إسرائيل (البقرة 69) وثلاث آخر في وصف لون النبات (المرسلات 33 الحديد 20 الروم 51) . اما الأسود فقد ورد في ست آيات واحدة في وصف لون الجبال (فاطر 27) وواحدة في لون الخيط الذي يميز به الفجر (البقرة 187) واثنان في وصف وجه من كان يبشر بالأنثى (النحل 58 الزخرف 17) واثنان في وصف وجه الكاذبين على الله (الزمر 60) والكافرين بعد الإيمان (آل عمران 106) . اما اللون الأخضر فقد ذكر في سبع آيات . أربع منها في وصف لون النبات والشجر (يس 80 يوسف 43-46 الحج 63)، وثلاث في وصف ثياب الجنة من سندس الأخضر (الإنسان 21 الكهف 31) ومتكئهم من الرفوف (الرحمن 76) . اما اللون الأبيض فقد ذكر في إحدى عشرة آية . خمس منهن في لون يد موسى عندما ناظر السحرة (الأعراف 108 طه 22 الشعراء 33 النحل 12 والقصاص 32) وواحدة كناية عن العمى (يوسف 84) وواحدة عن لون الجبال (فاطر 27) وواحدة عن لون الخيط الذي يميز به الفجر (البقرة 187) .

وأية واحدة في وصف وجه من أنعم الله عليه بالجنة (آل عمران 106) وأخرى في وصف الكأس التي تدار على أهل الجنة (الصافات 46) وأخرى في وصف حوارى الجنة (الصافات 49) ومن هذا يتبين ان اللون الوحيد الذي أشار إليه القرآن هو الأخضر وانه لم يخصص في القرآن استعمال لون معين أو تفضيله على غيره⁽⁷⁾.

(3) الشعر

من منا ينكر ان للألوان علاقة قوية بالشعر؟ قد لا نجد أحدا حتى من القراء من ينكر هذه الصلة الحميمة بين الألوان والشعر. كيف لا ونحن ندرك ان القصيدة الشعرية عبارة عن نسيج مزخرف بكل الألوان التي خلقها الله عز وجل... كيف لا نجد الألوان عند الشعراء وجميع قصائدهم نقل للطبيعة بجمالها وورودها المختلفة ألوانها، وهي ترجمة للمشاعر الإنسانية في لحظات الفرح والغضب. فحمرة الخدود واصفرار الوجه ونقاء البشرة من صفات الحبيبة التي وصفها الشعراء في قصائدهم. ولو أجرينا إحصائية لعدد من الشعراء الذين استعملوا اللون لأغراضهم الشعرية لتوصلنا إلى حقيقة اننا قد لا نجد شاعراً "لا يستخدم الألوان رموزاً" ودلالات للتعبير عما يجيش في صدورهم من الأحاسيس والمشاعر الدافقة. وبمرور الوقت اكتسبت الألوان أهمية خاصة حتى غدت مفرداتها جزءاً من المعجمات الشعرية لهؤلاء الشعراء.

(7) ينظر: د. صالح احمد العلي: "ألوان الملابس العربية في العهود الإسلامية الأولى 81-85.

ويبدو لنا من خلال تحليلنا لقصائد عدد من الشعراء العرب والأجانب، ان الألوان بأنواعها قد سخت ووضعت بذكاء وعناية في مختلف الأغراض الشعرية، فالشعراء استخدموها في وصف الحبيبة، أو الطبيعة أو الخمرة أو المشاعر الإنسانية.

وقد استخدم الشعراء العرب الألوان الرئيسية الأربعة بكثرة وهي الأبيض والأسود والأخضر والأحمر⁽⁸⁾. وسنعرض دلالات هذه الألوان كما ودرت في الشعر العربي.

فاللون الأبيض يعد من الألوان التي شاع استخدامها بين الشعراء العرب. ولو قمنا بدراسة تحليلية لهذا اللون لرأينا كم هي المضامين التي تضمنها هذا اللون. فأبو طالب يضعن اللون الأبيض معنى "غير المعنى التقليدي الذي يراه الرسام حين يمدح النبي محمداً" صلة الله عليه وسلم بقوله:

وابيض يستقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل⁽⁹⁾.

ففي هذا البيت يستخدم الشاعر اللون الأبيض في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لم يقصد بكلمة الأبيض معناها اللوني الشائع، بل استخدمها مجازاً لتعني شيئاً "أكبر من اللون"، انه كرم الرسول العظيم وحسن معاملته لليتامى والأرامل.

(8) المصدر نفسه 77-78.

(9) ذكر النمري في كتابه: "الملمع": ان الله عز وجل خلق الألوان خمسة: بياضاً وسواداً وحمرة وصفرة وخضرة، فجعل منها أربعة في بني آدم: البياض والسواد والحمرة والصفرة، ينظر: محمود شكري الالوسي "رسالة الألوان"، 20.

وفي البيت الآتي نرى حسان بن ثابت يستخدم اللون الأبيض في معنى مقارب للذي قصده أبو طالب:

بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الأول⁽¹⁰⁾.

وسياقات اللون الأبيض عند امرئ القيس قد جاءت كما يأتي :

أولاً: الحديث عن المحبوبة

وهذا السياق كان الصق السياقات

باللون الأبيض لدلالته على الصفاء والنقاء كقول امرئ القيس :

مهفهفة بيضاء غير مغاضة ترائيها مصقولة كالسجنجل⁽¹¹⁾ ، وفي

مناسبة أخرى يستخدم الشاعر اللون الأبيض صفة خاصة للفرس للدلالة على الأصالة والقوة:

وابيض كالصقراق بليت حده وهبته في الساق والقصرات⁽¹²⁾

وللون الأبيض دلالة أخرى عند الشاعر العراقي صفي الدين الحلي

بيض صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا⁽¹³⁾

(10) ينظر: أبو عبد الله الحسين بن علي النمري "الملمع" 1.

(11) ينظر: ديوان حسان 74/1، وأبو عبد الله الحسين بن علي النمري: "الملمع" 1.

(12) ديوان امرئ القيس / 15.

(13) المصدر نفسه / 82.

ففي هذا البيت يتحدث الشاعر عن الحماسة عند العرب ويوظف اللون الأبيض للدلالة على الأعمال الفاضلة التي تكسب القوم شرفاً وعزاً . اما الألوان الأخرى فهي ذات مدلولات أخرى كما سنرى فيما بعد . وجدير بالذكر ان البدو يعدون الجمال البيض من اعرق فصائل الإبل وللون الأبيض دلالاته عند الشاعر أبي الطيب المتنبي في قوله:

كم قتيل كما قتلت شهيد لبياض الطلى وورد الخدود⁽¹⁴⁾ .

ان هذه الشواهد لاستخدامات اللون الأبيض في الشعر العربي تعطينا دليلاً على ان الشاعر العربي كان مولعاً باستخدام اللون الأبيض والألوان الفاتحة في وصفه للأشياء المحببة إليه كالحبيبة والطبيعة والفرس والإبل وغيرها .

وعندما نقل اللون الأخضر ، نجد ان الشعراء قد استخدموه بحسب ما يرتؤون من دلالات لخدمة أغراضهم الشعرية. فامرؤ القيس يستخدم هذا اللون بدرجاته المختلفة. من خضرة شديدة تقارب السواد إلى خضرة باهتة اللون يكاد يندم تأثيرها . وهو يستخدم هذا اللون في سياق حديثه عن الفرس وحركاتها الواسعة في إقبالها وإدبارها ، أو في حركة الحمر الوحشية بين الخضرة والماء والمراعي . وهو ينطلق بفرسه القوي السريع إلى الروابي الخضر التي زاداها المطر نضارة وخضرة في قوله:

وغيث من الوسمى حو تلاعه بطنته بشيظم صلتان⁽¹⁵⁾

(14) ديوان صفي الدين الحلي/14.

(15) ديوان أبي الطيب المتنبي / 19.

وقد استخدم اللون الأخضر أيضا أداة للتشبيه فهو يشبه فرسه وقد غمرتها المياه بقرعة خضراء وهي دلالة على الشفافية والصفاء والرقّة اما المتنبّي فيستخدم ألون الأخضر رمزاً دالاً على شيء آخر يختلف عما قصده امرؤ القيس:

وخضرة ثوب العيش في الخضرة التي ارتك احمرار الموت في مدرج النمل⁽¹⁶⁾

أراد المتنبّي بثوب العيش في هذا البيت: النعمة والخصب والخضرة الثابتة. وقد استخدم عدداً آخر من الشعراء هذا اللون بمعنى يختلف عن المعنى التقليدي. فنجدهم استخدموه ليدل على معان كثيرة. ففي قول ربيعة بن مقروم:

طوامي خضراً كلون السماء يزين الدراري فيها النجوم⁽¹⁷⁾

يبدو لنا ان تسمية الشاعر الدراري بالنجوم انه يقصد سماء الليل. ومن الواضح ان لونها ليس اخضر بمفهومنا التقليدي وانما هو اللون الأسود المشرب بالزرقة وهكذا صارت الخضرة دلالة على السماء. وعندنا من الأمثلة الشيء الكثير الذي يدل على اختلاف دلالات هذا اللون فهناك كلمة: الاحوى التي يتكرر استخدامها في الشعر العربي القديم. ومعناها قريب جداً من الأخضر، جامعة بين الخضرة والزرقة مع صلابة السواد ونجد مثل هذا التغيير عند عمرو بن كلثوم عندما يصف الخيل:

(16) ديوان امرؤ القيس / 87.

(17) ديوان أبي الطيب المتنبّي / 14.

جلبنا الخيل من جنبي أربك إلى القلعات من اكناف بحر

ضوامر كالقдах ترى عليها بيس الماء من حوو شقر⁽¹⁸⁾

ان المقصود "بحو" في هذا البيت هو النباتات الخضر.

اما اللون الأخضر عند الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب فيمكن معرفة

دلالاته في قوله :

وانا الأخضر من يعرفني اخضر الجلدة من بيت العرب⁽¹⁹⁾

فالأخضرة هنا لا تعني اللون المجرد ، بل هي عند العرب السواد. ومن هذه

الدلالة سمي العراق بأرض السواد لكثرة خضرته. ولو انتقلنا إلى اللون الأسود ،

لرأينا قد جذب اهتمام الشعراء العرب الذين استخدموه بحسب ما يرونه أيضا

مناسباً "لخدمة أغراضهم الشعرية. ولعل من المناسب هنا ان نشير إلى ان اللون

الأسود عند العرب قد ارتبط بالحداد ، أي ان طبيعته متصلة نفسياً بأجواء الحزن

والكآبة إلا اننا نجد بعض الشعراء العرب قد نقل هذا اللون من طبيعته المأساوية

إلى سياقات أخرى تتفق مع إحساسه الخاص ، ومع أهدافه المميزة في تشكيل

صياغته على نحو يحقق لهم متعة الإبداع . فلو أخذنا تجليات الألوان عند الشاعر

العربي امرئ القيس لرأينا ان الشاعر قد استخدم هذا اللون في وصفه ، الشعر

والحصان والليل . وأول ما يستوحي الشاعر امرؤ القيس سواد حبيبتة . ان هذا

السواد يمثل لقطة جذب وإغراء له:

(18) شعر ربيعة بن مقروم ، ضمن: شعراء إسلاميون /281. ونظر: الدكتور وولف دبتريش فيثر "التعبير عن

اللون في الشعر العربي القديم" 20.

(19) شعر عمر بن كلثوم التغلبي ، ضمن: مجلة المشرق ، السنة العشرون ، ع7، تموز 1922، ص596.

بأسود ملثف الغدائر وارد وذي اشتر تشوفه وتشوص⁽²⁰⁾

ومتلما كان اللون الأسود علاقة جذب وإغراء عند المرأة ، فهو مصدر قوة ونشاط شامل عند فرسه. والشاعر دائماً كان يفضل السواد الداكن ، وهذا يمثل منتهى القوة عند الفرس⁽²¹⁾:

والعين قاذحة واليد سابحة والرجل طامحة واللون غريب

والليل بظلمته قد لا يحتاج إلى وصفه بالسواد ، وإنما يستمد منه الشاعر طرق تقابل مع غيره ليخلق الدلالة المقصودة . فإذا أراد ترقيب انفراج حيث يكون استئساق الضوء وسط الظلام انسب ما يكون:

تلك النجوم إذا ما حانت مطالعها شبهتها في سواد الليل اقباساً⁽²²⁾

وقد استخدم الشعراء العرب اللون الأسود في هجاء خصومهم لأن السواد يمثل العبيد على الضد من البياض الذي يمثل السادة والمترفين فأبو الطيب المتنبي يهجو كافورا " وقد تطرق إلى شقوق قدميه :

وتعجبني رجلاك في النعل التي رأيتك ذا نعل لهو حافياً

وانك لا تهدي لونك اسود من الجهل أم قد صار ابيض صافياً⁽²³⁾

(20) ينظر: كتاب "الملع"، 1.

(21) ديوان امرئ القيس / 178.

(22) وقد استنتج وولف دبتريش فيثرف في مقالته "التعبير عن اللون في الشعر العربي القديم" بأن الإنسان الجاهلي كان يشاهد بالدرجة الأولى فتوحة الأشياء و ظلمتها ويهل لونها. كما ان معاني الكلمات الدالة على الألوان مغايرة لمعانيها المألوفة في وقتنا هذا: ميزت هذه الكلمات بين درجات الفتوحة والظلمة بدقة وتفصيل 00 ينظر: التعبير عن اللون في الشعر العربي القديم، 22.

(23) ديوان امرئ القيس / 461.

وأخيراً يمكننا ان نقول ان الشاعر العربي قد أدرك أهمية اللون في نقل الصور الشعرية في قصائده ، لهذا نراه يكثر من استعمال الألوان ودرجات اللون الواحد إذ استعمل كلمات تعبر عن نوع خاص من اللون . ولقد اعتمد الشاعر العربي اللون اعتماداً متوازياً مع سيرة تطور بناء القصيدة⁽²⁴⁾ .

دلالة اللون في القصة

بعد ان تناولنا اللون عند الشعراء الذين عبروا عن حبهم وكرههم ومدحهم مستثمرين اللون في تقديم أجمل الصور الشعرية عبر تواطؤات معقدة من التصريح والتلميح والترميز والانزياح⁽²⁵⁾، نتناول اهتمام القاصين والروائيين بمسألة اللون لإدراك جماله أو إمكانية استعمالهم إياه استعمالاً رمزياً كما يقول جوجان (Gauguin) : ان بعض الألوان تعطينا إحساسات غامضة ، وعلى ذلك فلا يمكننا استعمالها استعمالاً منطقياً بل نضطر إلى استثمارها استثماراً رمزياً⁽²⁶⁾ . وسندرس في هذا الصدد دلالة اللون في أعمال القاص العراقي عمر محمد الطالب في محاولة منا للكشف عن استعمال الدوال اللونية في بعض أعماله القصصية ومعرفة المعنى الكامن الذي يسكن اللون فضلاً عن معرفة اعتماد اللون

(24) ديوان أبي الطيب /50.

(25) لمزيد من التفصيل: ينظر محمد حافظ ذياب، 46.

(26) يقصد بذلك الأنماط الأربعة من توظيف دوال الألوان .

النمط الأول: توظيف دوال اللون على مستوى الوصف.

النمط الثاني: يوظف مفردات اللون توظيفاً " يكون في الأغلب على مستوى التشبيه".

النمط الثالث: يكون في الغالب على مستوى العلاقات الرمزية إذ حيث يتم استحداث مدلولات اللون لتمثيل دواله.

النمط الرابع: يمثل احتجاجاً " على النمطية السائدة في توظيف اللون ، واخصاب للثابت تصريحاً " أو تلميحاً

أو ترميزاً ، بل هو مفتوح لترويض دوال اللون وتناويلها وبعد أسلوب الانزياح البعد عن مطابقة الدال

للمدلولة أهم أساليب هذا النمط ، ينظر: محمد حافظ ذياب "جماليات اللون في القصيدة العربية"، 42.

عند هذا القاص المعاصر واستعماله ألوانا معينة كتلك التي استعملها الشعراء القدامى.

ونسنعين في دراستنا هذه بتقسيم ليوهرفتش "L. Hurvich" للألوان التي قسمها على⁽²⁷⁾:

1. السلسلة الاكروماتية الالونية: وهي الأسود ، والرمادي ، والأبيض.
2. الألوان الأساسية: وهي أربعة: الأحمر ، والأصفر ، والأخضر ، والأزرق.
3. ظلال الألوان أو النقب وهي الألوان الهامشية وتعد بالآلاف . ان مفردة اللون في أعمال القاص عمر الطالب تلفت النظر . بوضوح إذ ان للون في قصصه ورواياته⁽²⁸⁾ أكثر من دالة رمزية وتغدو هذه الدالة وسياق مباشر لطرح مشاعره

(27) ينظر: H. Gauguin ,Return to Symbolism, 25th Art News, Annual N. Y. 1956, p. 137

(28) طبقاً لتقسيم L. Hurvich تنقسم الألوان على ثلاثة أنماط:

1. السلسلة الاكروماتية الالونية: وهي الأسود والرمادي والأبيض . وتوظيف هذه السلسلة في الخطاب الشعري يتم بوضوح . فالأبيض معنى مزدوج فهو لون عدم سفك الدماء Bloodless ولون البرد الذي يطفئ الموت ، منذ عبارة تنيسون "سترة الموت البيضاء" Death-white وعبارة شيلي "شبح الموت الأبيض" Shadow of white dea curtain وهو أيضا رمز النقاء ، كما يتمثل في عبارة سويلبرن " الأحلام البيضاء" White dream . والرمادي هو رمز الدهاء ولون التحذير من العمر والخوف اما الأسود فهو لون كل الأشياء المفزعة الأفكار السوداء Black Thoughts و "السنوات السوداء" Black ears .
2. الألوان الأساسية وهي أربعة: الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق والأحمر . والأحمر طبقاً لكريستينا روسيني لون حي ووثني ، وهو ما دعا كيتس إلى استخدام تنويعات: الوردية Rose والقرمزي Crimson والياقوتي Ruby والزئبقي Vermillic والوردي بينها اختاره لوناً للحب محمواً تجده عند فيويديث التي غدت " لذكريات الحب الوردية Love s rosy memories" . اما الأخضر فهو المحبب لوينبرن انه لون ايزيك 00لون الأمل.

وهو اجسه الداخلية المحتمة . ومن المعروف ان التحليل المتعلق باستعمال الدوال اللونية في الرواية والقصة القصيرة صعب ، لكننا سنحلل الدالة اللونية في روايات عمر الطالب وأعماله ومن ثم نجعلها ونصنفها .

4. ان عمر الطالب قاص وفنان وهو بلا شك يجيد رسم صور شخصه كما يجيد استثمار اللون ، وربما يرجع سبب اهتمامه باللون إلى طبيعة الحياة التي عاشها أو يعيشها والى محصلة إدراكه الحسي والعاطفي والجمالي للون. فاللون الأبيض يحتل المرتبة الثانية ضمن مفردات السلسلة الاكروماتية اللالونية عند عمر الطالب . فقد استعمل صفة اللون الأبيض للدلالة على الأشياء الخارجية كما فعل في وصف الدار المطل على الحقل في قصص : "خمسينات أضاعها ضباب الأيام" فهو دائماً مصبوغ بالأبيض ويأتي الوصف هنا للدلالة على مظهر الطبقة البرجوازية المقرفة الناصع في الظاهر والمنخور من الداخل حيث تسكنه شخصيات أتعبها الفساد وكثرة المال كما في قصة " أمطر

← 3. ظلال الألوان أو النقب وهي الألوان الهامشية وتعد بالآلاف (ينظر محمد حافظ ذياب "جماليات اللون

في القصيدة العربية" 44.

اعتمدنا في دراسة أعمال القاص عمر محمد الطالب على رواياته ومجموعاته القصصية وهي:

- خمسينات أضاعها ضباب الأيام ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، 1971 .
- الاحداق المجروحة ، رواية ، جامعة الموصل ، 1976 .
- إنسان الزمن الجديد ، رواية ، جامعة الموصل ، 1981 .
- صراع على مشارف قلب ، رواية ، دار الاتحاد الاشتراكي ، 1988 .
- مسافات الحب ، مجموعة قصصية ، دار عكاظ ، المغرب ، 1989 .
- الآمال المؤجلة ، مجموعة قصصية ، دار عكاظ ، المغرب ، 1989 .
- غرفة الليل الدافئة ، مجموعة قصصية ، دار عكاظ ، المغرب ، 1992 .

دائمة وفنجان من الرغبة " أو على وشك السقوط كما في قصة "انها امرأة" (29) أو في طرفها إلى السقوط كما في قصة "موعد في الخامسة والنصف مساءً".

ويأتي اللون الأبيض رمزاً "للطهارة كذلك كما في تصوير ساعد بطل قصة "انها امرأة" وتكرر الساعد العرى تبدأ ككرة فولاذية ثم بيضاء ثم أدار حد المحراث 000" ويرمز اللون الأبيض للبركة والحب الحقيقي النابعين من أصالة متينة وفحولة كما في قصة "موعد في الخامسة والنصف مساءً" (30)، ابتسم لها ابتسامة أبانت عن أسنانه البيضاء القوية كأسنان حصان أصيل" (31)، وقد يكون جزءاً "من الصورة التي حاول القاص رسمها كما فعل في تصوير الأم في قصة "البحر الحزين" (32)، فهو انزياح لدلالات كثيرة أراد التعبير عنها من داخل الصورة الأدبية، وهذا الانزياح نراه يتكرر كثيراً "في رواية "صراع على مشارف قلب" ومجموعة "مسافات الحب" التي تعالج موضوعات روائية القاص الخاصة في الحب إذ يراه مزيجاً "بين الصفاء "الأبيض" مثل غلالة يغطي جسدين عاريين مليئتين بالرغبة "الأحمر".

(29) ينظر: خمسينات أضاعها ضباب الأيام، 79.

(30) المصدر نفسه، 103.

(31) ان اللون الأبيض يدل على أصالة وقوة تهيء له متعة المغامرة كما يقول امرئ القيس

وابيض كالخراق بليت حدة وهيبه في الساق والقصرات

ينظر: شاعرية الألوان عند امرئ القيس، محمد عبد المطلب، 60.

(32) ينظر الاحداق المجروحة، 69-103.

اما اللون الأسود فيحتل المرتبة الأولى ضمن مفردات سلسلة الاكروماتية اللالونية أو "الألوان المتحايدة" كما يطلق عليها أحيانا . ويمثل هذا اللون أساسا انزياحياً " لما يعانيه القاص عمر الطالب من تشاؤم . فهو يكثر من وصف الطبيعة في أثناء الأجواء العاصفة ويبدو لنا ان القاص يعشق هذه الأجواء . واستثمر هذا اللون في وصف ملابس شخصه كما في قصة "حصان وثلاثة رجال " من المجموعة القصصية "خمسينات أضاعها ضباب الأيام ... " مد جمعة يده داخل ثوبه واخرج من فوق حزامه كيساً "اسود" 000 عم درويش الذي أعطته ذات مرة علكاً "مسهلاً" فأصابه مغص وأفرط في سرواله الأسود 000⁽³³⁾ ، ويظهر اللون سمة بارزة في قصة "البحر الحزين " وصفاً "خارجياً" في ملابس الأم ودلالة الحزن في المكتبة القديمة السواد أو رمزاً للعبودية كما في العبد الذي أدى دوراً في قصة "عصير الزمن في صندوق عظم" في مجموعة "خمسينات أضاعها ضباب الأيام" . ويظهر اللون الأسود انزياحاً واضحاً في القسم الأخير من رواية "صراع على مشارف قلب" وفي مجموعة " مسافات الحب" وقصص "الآمال المؤجلة" أو "غرفة الليل الدافئة " دلالة على ختام العالم وسواده وعبثيته⁽³⁴⁾ . فضلاً على انه اللون المفضل لدى القاص أحيانا " فنراه إذا أراد إظهار جمال فتى أو فتاة البسه ثياباً " سوداً كما في قصة "عذراء تبحث 000" في مجموعة "خمسينات أضاعها

(33) ينظر خمسينات أضاعها ضباب الأيام، 15-26.

(34) اما اللون الأسود فهو لون حزن، وهذه بدالة قد جاءت إليه من الظلام الذي يسود الليل بعد موت النهار . ينظر: فوزي رشيد ، آفاق عربية ، عدد تشرين الثاني ، السنة السادسة عشرة، 1991 ، 150 . كذلك ينظر: The Artsof Colour ، 408 و The lu scher colour ، 75 ، وكذلك ينظر: شيرين إحسان شيرزاد ، مبادئ في الفن والعمارة ، 180 ، وعلى الرغم من كون اللون الأسود كثيباً فان استعماله كخلفية يملك نبرات بيض أو بألوان أخرى قد تعطي نتائج تشكيلية ذكية 0 ويجب ان لا ننسى ان الشعراء العرب قد اسرفو في مدحهم للعيون السود.

ضباب الأيام ... " وفي الممر الرملي بين واحتين من أزهار الربيع بدت سعاد بثوبها الأسود ونظرات الإعجاب والاشتهاء والغيرة والازدراء تحيط بها 000" (35). وهو أيضا "رمزاً للشر متمثلاً" في العفريت كما في قصة "البحر الحزين" أو رمزاً للقوة كما يبدو في أكثر الشخصيات التي تنتمي إلى أصول زنجية في قصصه 0 ويختلط اللون الأسود دائماً في قصص عمر الطالب ورواياته باللون الأحمر في الرمز والدلالة والانزياح، فهو يقود رمزاً إلى القتل وانبثاق دماء الضحية وهو في الدلالة يوحي بالشهوة سواء أكانت جنسية أم نفسية أم مركبة وهو في الانزياح يدل على التمرد تارة وعلى الثورة تارة أخرى 0 ونراه قد أكثر من وصف "الحزازير السود" في رواية "الاحداق المجروحة" التي جاءت دلالة على العجائز التهمات أو الفتيات الحاققات أو القوى السود المضادة للحرية 0 ويخلط اللون الأسود باللون الأبيض ليعطينا دلالة على الصراع بين الخير والشر أو بين الحياة والعدم كما في رواية "إنسان الزمن الجديد" 0 يضرب القدر ضربته 000 يدخل الفارس الزمن الجديد 000 يجلس هناك 000 دائماً 000 على كرسي اخضر بلون الربيع 000 شقيقة يانعة تضم ألوان الحياة 000 لايبيض المشرب بحمرة 000 الاسود 000 انه الحياة بما فيها من تدفق وعدم 000 (36)، يحتل اللون الأحمر المرتبة الأولى ضمن مفردات الألوان الأساس وهو اللون الثاني في الاستعمال في قصص عمر الطالب ورواياته وهو على الضد من اللون الأسود فبقدر ما يحب اللون الأسود كما يبدو فهو لا يرغب في اللون الأحمر لأنه يوحي السذاجة والبدائية والعنف 0 فاذا ما البس القاص فتاة فستاناً "احمر أعطت للقارئ

(35) عذراء تبحث عن 00، في مجموعة خمسينات أضعها ضباب الأيام، 41.

(36) د. عمر الطالب، إنسان الزمن الجديد، 16.

دلالة على سذاجتها أو رمزاً "لشبقها كما في قصة "موعد في الخامسة والنصف مساءً" في المجموعة القصصية "خمسينات" أضعافها ضباب الأيام "000 كستها حمرة البروق الساطعة وراء النافذة" (37)، إلا انه في غالب استعملاته لهذا اللون مثل انزياحاً عن الثورة كما في رواية "صراع على مشارف قلب" و "إنسان الزمن الجديد" (38)، أو على التمرد كما في مجموعات "مسافات الحب" والآمال المؤجلة، غرفة الليل الدافئة" ويأتي اللون الأحمر في صراع مع الألوان الأخرى ولاسيما الأبيض والأسود، ففي الحالة الأولى تكون دلالاته على السلم والعنف وفي الثانية يمثل علاقة الشر بالعنف. أما الألوان الأخرى فقد استعملت استعمالاً "أقل من الألوان الأنفة الذكر فتأتي في غالب الأحيان أوصافاً " في الحقول الخضراء والعيون الزرق أو البحر أو السماء أو النبر والستائر البنفسجية والسماء الرمادية والشعر أو الثوب الأصفر. فإذا تجاوزنا الوصف فتأتي هذه الألوان دالة فالأخضر يدل على الخصب والخير والنهاء والأزرق على الهدوء والصفاء والأصفر على الجشع والدعارة 0 والبنفسجي على الوحدة والكآبة والرمادي على العدم 0 وان هذا اللون الذي لا لون له كما تبدو الحياة في نظر معظم شخصيات القاص وكأنها تساؤل دواخلها لماذا أتينا والى أين نذهب؟ أليس لنا الحق في ان نستثار على الأقل في وجودها وعد منا؟ وكثيراً ما يتجاوز اللون الرمادي في قصصه على الانزياح وتؤدي هذه الألوان دوراً رمزياً بارزاً فالخضرة رمز الإخصاب والتكاثر المندھش بالكون والأزرق رمز للحسد وربما تشبث هذا الرمز في كتاباته نتيجة اهتمامه

(37) د. عمر الطالب، خمسينات أضعافها ضباب الأيام، 102.

(38) د. عمر الطالب، إنسان الزمن الجديد 12، لم ازرع خنجري في صدره 00 كان الشارع نحو من ضياء

القمر 00 بساطاً من زرع احمر 00 اغنيته وجود كاملة 000

بالتراث الشعبي نحو ما هو معروف ، والأصفر يرمز إلى الحقد والكراهة وهو متأثر أيضا "بالموروث الشعبي ويرمز بالبنفسجي إلى الكآبة الصافية التي يعدها أساس الحكمة والرؤية السديدة اما الرمادي فرمز لعدم جدوى ، ليس الاستكانة والخضوع وانما السعي لتبديد هذا اللون العدمي دائماً" وبذلك يرمز للبحث من أجل جدوى الأشياء وإخضاع كل ما هو رمادي للسيطرة الإنسان ليغير لونه إلى اللون الذي يريده في الحياة (ان انزياحات هذه الألوان على قلتها موجودة في قصصه ورواياته وتحتاج إلى دراسة بنيوية لمعرفة مكانها وثوابتها (وان مفردة اللون الواحدة تأخذ قاموس القاص مظاهر متعددة الدلالة)

ويمكننا أخيرا ان نقدم نتائج إحصاء دوال الألوان في أعمال القاص ، على الرغم من ان مثل هذه الإحصائيات والنتائج لا تكون حقائق ثابتة ونهائية فالموضوع يتعدى الكلمة بشموليته وامتداده.

الجدول ذو الرقم (1)

مفردات السلسلة الاكروماتية فهو اللونية

المفردات	خمسينات أضاعها ضباب الأيام	الاحداق المجروحة	إنسان الزمن الجديد	صراع على مشارف قلب	مسافات الحب	الآمال المؤجلة	غرفة الليل الدافئة	إجمالي
اسود	21	31	39	22	33	22	21	189
رمادي	-	-	2	5	3	5	1	166
ابيض	6	42	31	8	9	8	7	111
إجمالي	27	73	72	35	45	35	29	316

ويلاحظ هنا استعمال اللون الأسود ضمن هذه السلسلة وخاصة في قصة "إنسان الزمن الجديد" و "مسافات الحب" و "الاحداق المجروحة" ثم يليه

الأبيض فالرمادي وهو اقل الألوان استعمالاً ضمن مفردات هذه السلسلة 0
انظر الجداول أ.ب. ج

الجدول ذو الرقم (2)

المفردات	خمسينات أضاعها ضباب الأيام	الاحداق المجروحة	إنسان الزمن الجديد	صراع على مشارف قلب	مسافات الحب	الآمال المؤجلة	غرفة الليل الدافئة	إجمالي
احمر	18	52	43	11	13	28	16	181
اصفر	3	9	31	6	8	10	4	71
اخضر	3	6	46	9	16	10	8	98
ازرق	5	17	15	8	6	9	7	67
إجمالي	29	84	135	34	43	57	35	417

ويمثل اللون الأحمر هنا المرتبة الأولى وبخاصة في "الاحداق المجروحة" و
"إنسان الزمن الجديد"⁽³⁹⁾ و "الآمال المؤجلة" في حين يقل استعمال اللون الأزرق.
انظر الجداول د. ذ. و. هـ.

الجدول ذو الرقم (3)

مفردات ظلال الألوان

المفردات	خمسينات أضاعها	الاحداق المجروحة	إنسان الزمن	صراع على	مسافات الحب	الآمال المؤجلة	غرفة الليل الدافئة	إجمالي
----------	-------------------	---------------------	----------------	-------------	----------------	-------------------	-----------------------	--------

(39) ينظر د. عمر الطالب (إنسان الزمن الجديد 16) قال لم جئت الينا؟

أجبت: لادرس

قال: تعني إذن البنفسج؟

(الامل 000 ان الهالة التي أحاطت بشريف ليست سوى غيمة غابرة)

				مشارف قلب	الجديد		ضباب الأيام	
11	3	-	2	-	6	-	-	وردي
7	-	2	2	-	3	-	-	قرمزي
3	-	-	-	-	2	-	1	فضي
26	-	7	9	-	10	-	-	ذهبي
3	-	-	-	-	2	-	1	ترابي
9	1	2	-	-	2	4	-	بني
1	-	-	-	-	1	-	-	لحمي
1	-	-	-	-	1	-	-	فحمي
1	1	-	-	-	-	-	-	جوزي
3	-	-	2	-	-	-	-	ارجواني
1	-	-	-	1	-	-	1	زهري
1	-	-	-	-	-	-	1	سماوي
1	-	-	-	-	-	-	1	شفتي
1	-	-	-	-	-	-	1	اغبر
69	5	11	15	1	27	4	6	إجمالي

ويلاحظ هنا ان اللون الذهبي هو الأكثر استعمالاً ويليه الوردي ، فالبنّي ، فالقرمزي، فالفضي ، فالترابي ، وان هناك مفردات لم تستعمل سوى مرة واحدة (لحمي – فحمي- جوزي – زهري – سماوي- شفتي- اغبر- سماوي).

الجدول ذو الرقم (4)

مجموع مفردات الألوان

إجمالي	غرفة الليل الدافئة	الامال المؤجلة	مسافات الحب	صراع على مشارف قلب	إنسان الزمن الجديد	الاحداق المجروحة	خمسينات أضاعها ضباب الألوان	
316	29	25	45	25	72	73	27	السلسلة
								الاكروماتية
417	35	57	43	34	135	84	29	الألوان الأساس
69	5	11	15	1	27	4	6	ظلال الألوان
802	69	103	103	70	234	161	62	إجمالي

ويلاحظ هنا سيطرة الألوان الأساس على غيرها في حين تبدو ظلال الألوان اقل استعمالاً ويلاحظ أيضا "ان الرواية "إنسان الزمن الجديد " من أكثر الأعمال

استعمالاً للألوان الأساس في حين ان قصص "خمسينات" أضعافها ضباب الأيام " من اقل قصصه استعمالاً للألوان الأساس .

الخاتمة

وبعد فقد أدركنا أهمية اللون في الوجود وانعكاسها على الأدب واهتمام العلماء بأصول اللون واستعماله ، ثم رأينا العلماء العرب يؤلفون كتاباً ومباحث عن اللون ودلالاته في الحياة والأحلام فضلاً عن المعاجم اللغوية واثرتنا إلى عناية القرآن الكريم بالألوان وبالموضوعات اللونية ، ثم اثرتنا إلى شيء من عناية الشعر العربي القديم باللون واستثماره لاغناء صورته الشعرية .

لقد توقفنا عند دلالة اللون في القصة فرأينا ما أتاحه اللون للقصص من جمال إيماي ورمزي وكان لتوقفنا طويلاً عند أعمال القاص العراقي الدكتور عمر محمد الطالب فرأينا يستثمر اللون ايما استثمار لخلق الأجواء التي يريد لها لإيصال أعماله للإيحاء بالأفكار التي تصدر عن أولئك الأبطال ولم نتحدث عن دلالات اللون عند هذا القاص المعاصر حديثاً "عائماً" أو حديثاً يمثّل وجهة نظرنا وانما أقمنا الدليل على ما رأينا بجداول إحصائية دقيقة تمثل اعتماده ألوانا شتى وعدد المرات التي استثمر فيها اللون الواحد في كل عمل من أعماله . فرأينا براعة فائقة في إشاعة إيماات خاصة به في استثمار الألوان واعتماد دلالاتها.

Abstract

"The significance of Colours in the Narrative Genre of Omar Al Talib"

Dr. Tawfik Aziz Abdullah^()*

This research deals with the significance of the colours in the short stories and novels by Omar Al Talib. He is one of the best novelists in Mosul who used colours and their significance in his works in such away that each colour (e.g. Red, blue, white, black,...) symbolizes love, hatred, virginity, honour, sadness,... We found, according to the statistics, that the, dominated colour in the "Man of the new time" and "The Distance of love" for example is the black followed by white. The red colour, on the other hand, dominates "The wounded Gardens" and "Postponed hopes".

(*) Département de Français - Facultés des Lettres / Université de Mossoul.